

سلسلة
من شعار أهل الحديث
(١٨)

الدَّرُّ الثَّمِينُ

في
وَجُوبِ تَوْقِيرِ الْعُلَمَاءِ
وطلبة العلم في الدين

تأليف

أبي عبد الرحمن فوزي بن عبد الله الأثري

سلسلة
من شعار أهل الحديث
(١٨)

الدر الثمين

في
وجوب توقير العلماء
وطلبة العلم في الدين

تأليف

أبي عبد الرحمن فوزي بن عبدالله الأثري

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكَ لَنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَالْجَنَّةَ الْكَافِيَةَ لِلْعَالَمِينَ .

وَمَحْدَى الْمَسْئَلَةِ

قَدْرُهُ وَمَنْ هُوَ صَاحِبُهُ الْبَلَدِيُّ . رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

وَمَنْ هُوَ الْخَلْقُ الْبَرُّ الْخَالِقُ

جَدُّهُ الرَّاضِي بِالْمَلَأَةِ عَيْنُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكَ لَنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ .

وَمَنْ هُوَ الْخَلْقُ الْبَرُّ الْخَالِقُ

يَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ وَالْمَسْأَلَةَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكَ لَنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ .

وَمَنْ هُوَ الْخَلْقُ الْبَرُّ الْخَالِقُ

يَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ وَالْمَسْأَلَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَارَكَ لَنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ .

فكان لهم الاعتبار والمكانة في الشريعة المطهرة ... فواجب على الأمة طاعتهم في طاعة الله ورسوله .. وموالاتهم واحترامهم وتوقيرهم ومحبتهم ومعاونتهم على البر والتقوى ...

وعلى هذا جرى سلف الأمة وأئمة المسلمين في كل بلد وزمان ... فعرفوا لهم أقدارهم ومنازلهم ومكانتهم ، ويتبين ذلك من أقوالهم وأفعالهم .

ثم خلف خلوف قلّ فيها العلم وأهله ... وقلّ اعتبار الناس للعلماء وطلبة العلم... فلم ينزلوهم منازلهم ولم يرفعوا لهم رأساً ، وأساءوا بهم الظنّ واستطالوا عليهم ... فكانت عاقبة أمرهم خسراً وأضلوا ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ .. وما أدري إن كانت قلوب هؤلاء لا تتفهم الموعدة ولا تفيدهم الذكرى ... ألم تزجرهم النصوص المرهبة والمرعبة عن فعلهم هذا الشنيع ... اللهم يا مُقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك ... وإن حقاً على القارئ هذه الورقات أن يتفطن لملاحظة مهمّة ... وهي أن العلماء وطلبة العلم الذين نقصدهم هنا ، هم العلماء وطلبة العلم الربانيّين وطلّاب العلم المعتبرون الربانيون في الأمة ، أما أهل الأهواء والضلالة والاحراف فهم غير داخليين هنا ... إذ هؤلاء القوم حقيقيون أن يُعدّوا في طوائف العوام فهم مُتعالِمون وليسوا بعلماء ، وطلّاب العلم في الدين .

قال الشيخ صالح الفوزان في وجوب التثبت في الأخبار واحترام العلماء [٥٠] :
 (إن وجود المثقفين والخطباء المتحمسين لا يعوّض الأمة عن علمائها.. وهؤلاء
 قراء وليسوا فقهاء فإطلاق لفظ العلماء على هؤلاء إطلاق في غير محله والعبرة
 بالحقائق لا بالألقاب فكثير ممن يجيدون الكلام ويستميل العوام وهو غير فقيه ،
 والذي يكشف هؤلاء أنه عندما تحصل نازلة يحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي فيها
 فإن الخطباء والمتحمسين تتقاصر أفهامهم وعند ذلك يأتي دور العلماء . فلننتبه
 لذلك ونعطي علماءنا حقهم ونعرف قدرهم وفضلهم ونُنزل كلاً منزلته اللائقة
 به...) اهـ

وانطلاقاً من مبدأ الاهتمام بهذا الأمر وددت أن أضع لإخواني المسلمين هذا
 الكتاب الصغير ليستفيدوا منه وسميته ((الدَّر الثَّمِين فِي وَجُوب تَوْقِير الْعُلَمَاءِ
 وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ فِي الدِّينِ)) .

وليعلم أن الأدلة النقلية كثيرة في هذا الموضوع وحيث اقتصرت على بعض
 الأدلة طلباً للاقتصار والمراعاة لجعل الكتاب أسهل للقراءة والفهم .

هذا وأسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يوفّق المسلمين
 القائمين على شئون المسلمين لما فيه خير دينهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
 وصحبه وسلم .

كتبه

أبو عبد الرحمن فوزي بن عبد الله الأنري

ذكر الدليل على مكانة العلماء وطلبة العلم ووجوب موالاتهم ومحبتهم واحترامهم وتقديرهم والتعاون معهم على البر والتقوى والحذر من قذحهم وغيبتهم والطعن فيهم

لقد اعتبرت الشريعة الإسلامية للعلماء منزلة ليست لغيرهم من الناس ،
وجعلت لهم مقاماً رفيعاً ، وأقامتهم أدلاء للناس على أحكام الله عز وجل ^(١) .
كما اعتبرت الشريعة لطلبة العلم أيضاً منزلة ليست لغيرهم من الناس ، وإن
كانوا دون العلماء ، وجعلت لهم فضلاً وشرفاً ومقاماً رفيعاً أيضاً ، وأقامتهم أدلاء
للناس على أحكام الله تعالى فهم ورثة العلماء فوجب موالاتهم ومحبتهم واحترامهم
وتقديرهم ^(٢) .

وإليك الدليل :

١) قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ^(٣) .

قلت : فأمر الله تعالى بطاعتهم ، وطاعتهم ما تستلزم محبتهم واحترامهم
وتقديرهم .

١) انظر قواعد في التعامل مع العلماء لابن معلا [ص ٤٣] .

٢) قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٨٧] (أن النبي ﷺ أوصى بطلبة العلم خيراً
وما ذاك إلا لفضل مطلوبهم وشرفه) اهـ .

٣) سورة النساء آية [٥٩] .

قال ابن تيمية في الفتاوى [ج ٢٨ ص ١٧٠] : (أولو الأمر : أصحاب الأمر وذووه وهم الذين يأمرون الناس ، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام ، فلهذا كان أولو الأمر صنفين : العلماء والأمراء ، فإذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس) اهـ

وقال شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين في العلم [ص ١٧] : (إن أهل العلم هم أحد صنفَي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام والعلماء وطلبة العلم) . اهـ

٢) وقال تعالى : ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) قلت : أن الله أوجب الرجوع إليهم وسؤالهم عما أشكل وهذا يستلزم عظم مكانتهم وتركيتهم وعدالتهم .

قال السعدي في تفسيره [ج ٤ ص ٢٠٦] : (وعموم هذه الآية ، فيها مدح أهل العلم ، وأن أعلى أنواعه : العلم بكتاب الله المنزل ، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتركية لهم حيث أمر بسؤالهم ، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعية) . اهـ

(١) سورة الأنبياء آية [٧] .

٣) وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

فقد أشهد الله عز وجل أهل العلم على أجل مشهود وهو توحيده ، وهذا يدل على فضل العلم والعلماء ، وأن في ضمنه هذا تركيتهم وتعديلهم ، وأن العلماء في جملتهم عدول (٢).

وقال البيهقي في شعب الإيمان [ج ٥ ص ٢٢٢] : (فَقَرَنَ اسم العلماء باسم الملائكة ، كما قرن اسم الملائكة باسمه ، وكما وجب الفضل للملائكة بما أكرمهم به ، فكذاك يجب الفضل للعلماء بما أكرمهم به من مثله) اهـ .

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن [ج ٤ ص ٤١] : (في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء) . اهـ

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢١٩] : (استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده ... وهذا يدل على فضل العلم وأهله ...) (٣) اهـ

قال مالك بن أنس في قوله ﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ قال : (بالعلم) . أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى [ص ٢٤٨] بإسناد صحيح .

(١) سورة آل عمران آية [١٨] .

(٢) انظر قواعد التعامل مع العلماء لابن معلا [ص ٤٨] . ومفتاح دار السعادة لابن القيم [ج ١ ص ٢١٩] .

(٣) وطلبة العلم من أهله كما هو معلوم عند المحققين .

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)

٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)

قلت : فنفى الله تعالى التسوية بين العلماء وطلبة العلم وبين غيرهم ، وفي هذا الدلالة على منزلة ومكانة أهل العلم من العلماء وطلبة العلم .

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٢١] : (أنه سبحانه نفى التسوية بين أهله وبين غيرهم ... فقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم) اهـ

٥) وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣)

فالأدلة لا يعرفها إلا أهل الفهم والاتقان بكتاب الله وسنة رسوله .

قال السعدي في تفسيره [ج ٦ ص ٨٩] : (وما يعقلها : أي يفهمها وتدبرها وتطبيقها على ما ضربت له ، وعقلها في القلب (إلا العالمون) أي أهل العلم الحقيقي ، الذين وصل العلم إلى قلوبهم ، وهذا مدح للأمثال التي يضربها ، وحث على تدبرها وتعقل ، ومدح لمن يعقلها ، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم ، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين) اهـ

(١) سورة المجادلة آية [١١] .

(٢) سورة الزمر آية [٩] .

(٣) سورة العنكبوت آية [٤٣] .

٦) وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١)

فأهل العلم من العلماء وطلبة العلم - هم أهل خشية الله بل خصَّهم الله من بين الناس بذلك وحصر ذلك فيهم .

قال ابن كثير في تفسيره [ج ٣ ص ٥٥٣] : (إنما يخشاهُ حقَّ خشيتِهِ العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسني كلما كانت المعرفة به أتم ، والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر) اهـ

وقال البيهقي في شعب الإيمان [ج ٥ ص ٣٢٣] : (فأبان أن خشيته إنما تكون بالعلم) اهـ

قلت : وإنما كان أهل العلم أهل خشية الله لعلمهم بالله تعالى .

فالعلم النافع يُورثُ الخشية ، ويكون سبباً في زيادة التقوى ^(٢) ، والتقرب إلى الله عز وجل ، وهي الغاية التي خلق الله العباد من أجلها ^(٣).

(١) سورة فاطر الآية [٢٨] .

(٢) قال طلق بن حبيب البصري : (التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله) .

أخرجه ابن المبارك في الزهد [ص ٤٧٣] وابن أبي شيبة في المصنف [ج ١ ص ٢٣] وفي الإيمان [ص ٣٣] وأبو نعيم في الحلية [ج ٣ ص ٦٣] بإسناد حسن .

قال ابن القيم في الرسالة التبوكية [ص ٢٦] : ((وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى)) . اهـ وقال الذهبي في السير [ج ٢ ص ٦٠١] : (أبدع وأوجز فلا تقوى إلا بعمل ولا عمل إلا بتقوى من العلم والإتباع ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله ...) . اهـ

(٣) انظر (الضرورة إلى العلم الشرعي) للشيخ صالح السدلان [ص ٢٩] .

(٧) وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيْسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَكِنْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ) .

حديث حسن

أخرجه أبو داود في سننه [ج٤ ص٥٧] والخطيب في تاريخ بغداد [ج١ ص٣٩٨] وفي الرحلة [ص٧٧] وفي الفقيه والمتفقه [ج١ ص١٧] وفي التلخيص [ج٢ ص٧٣٤] والترمذي في سننه [ج٤ ص١٥٣] وابن عبد البر في الجامع [ج١ ص٣٤] وابن ماجه في سننه [ج١ ص٨١] وابن أبي شيبة في المسند [ج١ ص٥٥] وأحمد في المسند [ج٥ ص١٩٦] والطبراني في مسند الشاميين [ج٢ ص٢٢٥] والدارمي في السنن [ج١ ص١٨٣] والفسوي في المعرفة [ج٣ ص٥٠٤] والأجري في أخلاق العلماء [ص٢١] والسمرقندي في تنبيه الغافلين [ص٦٦٥] وابن شاهين في الترغيب [ص٢٢٧] والكرخي في الأربعين [ص٧٦] والبخاري في التاريخ الكبير [ج٢ ص٣٧٧] والطحاوي في مشكل الآثار [ج١ ص٤٢٩] والبعوي في شرح السنة [ج١ ص٢٧٥] والبيهقي في المدخل

[ص ٢٥٠] وفي شعب الإيمان [ج ٥ ص ٣٢٧] وفي الآداب [ص ٥٢٥] وفي الأربعين الصغرى [ص ١٢] وابن حبان في صحيحه [ج ١ ص ١٥١] وابن قانع في معجم الصحابة [ج ٢ ص ٣٨٧] والبخاري في المسند [ج ١ ص ٨٣] من طرق عن أبي الدرداء به . وإسناده حسن .

قال الشيخ صالح السدلان في الضرورة إلى العلم الشرعي [ص ٣١] : (فالحديث يحمل بشائر عظيمة لطالب العلم ، ويبين ما للعلماء من القدر الجليل ، والمقام النبيل ، وهذا يدل على فضل العلم ، وسمو مرتبته وعظيم مكانته). اهـ

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٦١] :

(وقوله : (وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ) ، هذا من أعظم المناقب لأهل العلم ، فإن الأنبياء خير خلق الله ، فورثتهم خير خلق بعدهم ، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته - إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده - ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم .

وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم ، فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث ، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم ، فكذلك هو في ميراث النبوة ، والله يختص برحمته من يشاء .

وفيه - أيضاً - إرشاد للأمة بطاعتهم ، واحترامهم ، وتعزيزهم ، وتوقيرهم ، وإجلالهم ، فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة ، وخلفاؤهم فيهم .

وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين ، وبُغضهم مُنافٍ للدين ، كما هو ثابت لموروثهم .

وكذلك مُعاداتهم ومُحاربتهم معاداة ومُحاربة لله كما هو في موروثهم .

قال علي رضي الله عنه : محبة العلماء دين يُدان الله به .

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ...) . وورثة الأنبياء سادات أولياء الله عز وجل .

وفيه تنبيه للعلماء على سلوك هدي الأنبياء وطريقتهم في التبليغ ، من الصبر ، والاحتمال ، ومُقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان ، والرفق بهم ، واستجلابهم إلى الله بأحسن الطرق ، وبذل ما يُمكن من النصيحة لهم ، فإنه بذلك يحصل لهم نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره ، الجليل خطره .

وفيه - أيضاً - تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يُربي الوالدُ ولده ، فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره ، وتحميلهم منه ما يُطيقون ، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصاله الغذاء إليه ، فإن أرواح البشر بالنسبة إلى الأنبياء والرسل كالأطفال بالنسبة إلى آبائهم ، بل دون هذه النسبة بكثير ، ولهذا كل روح لم يُربها الرُّسل لم تُفلح ولم تُصلح لصالحه ، كما قيل :

وَمَنْ لَا يُرَبِّيهِ الرَّسُولُ وَيَسْقِيهِ لِبَنَانٍ لَهُ قَدْ دَرَّ مِنْ ثَدْيِ قَدْسِهِ

فَذَلِكَ لَقِيطٌ مَا لَهُ نَسَبَةٌ وَلَا وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ

وقوله : (وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَكِنْ وَرَثُوا الْعِلْمَ) ،
هذا من كمال الأنبياء وعظم نصحبهم للأُمم . اهـ

قال ابن رجب : (يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم ، فهم خلفوا
الأنبياء في أمهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته ، والنهي عن معاصي الله والذود
عن دين الله) ^(١) .

وقال الخطابي في معالم السنن [ج٥ ص ٢٤٣] : (قوله : وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ
أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ) ويأول على وجوه ، أحدها : أن يكون وضعها
الأجنحة بمعنى التواضع والخشوع تعظيماً لحقه وتوقيراً لعلمه) . اهـ

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج١ ص ٢٥٥] : (والطريق التي يسلكها
إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربّه .

ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً وتوقيراً وأكراماً لما يحمله من ميراث
النبوة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع
أجنحتها له لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته ، ففيه شبهة من الملائكة ، وبينه
وبينهم تناسب ، فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم ، وعلى أيديهم
حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى ، ومن نفعهم لبني آدم ونصحبهم
أنهم يستغفرون لمسيئتهم ، ويثنون على مؤمنيتهم ، ويعينونهم على أعدائهم من

(١) انظر شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم [ص ٤٦] .

الشياطين ، ويحرصون على مصالح العبد أضعاف حرصه على مصلحة نفسه ، بل يريدون لهم من خير الدنيا والآخرة ما لا يريدُ العبدُ ولا يخطرُ له ببال ... فأَيّ نصح للعباد مثلُ هذا إلا نصحُ الأنبياء ، فإذا طلب العبدُ العلمَ فقد سعى في أعظم ما ينصحُ به عباد الله ، فلذلك تُحبه الملائكة وتعظمُهُ ، حتى تضع أجنتها له رضا ومحبة وتعظيماً) . اهـ

وقال ابن حبان في صحيحه [ج ١ ص ٢٩١] : (في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا ، هم الذين يعلمون علم النبي ﷺ دون غيره من سائر العلوم ألا تراه يقول (العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته ، فمن تعرّى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء). اهـ

٨) وعن زر بن حبيش قال : (أتيت صفوان بن عسال المرادي ، فقال : ما جاء بك؟ قلت: جئت أبتغي العلم ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ) .

حديث حسن

أخرجه النسائي في السنن الكبرى [ج ١ ص ٩٥] وفي السنن الصغرى [ج ١ ص ٩٨] والفسوي في المعرفة والتاريخ [ج ٣ ص ٥٠٢] وابن ماجه في سننه [ج ١ ص ٨٢] وأحمد في المسند [ج ٤ ص ٢٣٩] وعبد الرزاق في المصنف

[ج ١ ص ٢٠٥] وابن أبي شيبة في المصنف [ج ١ ص ١٧٧] والبيهقي في السنن الكبرى [ج ١ ص ٢٧٦] وفي المدخل [ص ٢٥٢] والحيمدي في المسند [ج ٢ ص ٣٨٨] والدارمي في السنن [ج ١ ص ١٠١] والشافعي في الأم [ج ١ ص ٣٤] والطيالسي في المسند [ص ١٦٠] وابن قانع في معجم الصحابة [ج ٢ ص ١١] وابن خزيمة في صحيحه [ج ١ ص ٩٧] والدارقطني في السنن [ج ١ ص ١٩٦] وابن حبان في صحيحه [ج ١ ص ٢٨٦] وابن عساكر في الأربعين [ص ١٠٠] وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات [ص ٢١٣] والخطيب في الرحلة في طلب الحديث [ص ٨٣] وفي الأسماء المبهمة [ص ١٤٤] والطحاوي في شرح معاني الآثار [ج ١ ص ٨٢] والطبراني في المعجم الكبير [ج ٨ ص ٦٧] والآجري في أخلاق العلماء [ص ٣٨] وابن عبد البر في جامع بيان العلم [ج ١ ص ٣٢] من طرق عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش به .

قلت : وهذا سنده حسن .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

وقال ابن عساكر : هذا حديث حسن .

وقال ابن حجر في الفتح [ج ١ ص ٣٠٩] : (وحديث صفوان وإن كان صحيحاً ،

لكنه ليس على شرط البخاري) . اهـ

وقال ابن عبد البر : هو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع .

قال السجزي في الرسالة [ص ٢٢٠] : (فالمتبع للأثر يجب تقدمه وإكرامه، وإن كان صغير السن غير نسيب ، والمخالف له يلزم اجتنابه وإن كان مسناً شريفاً). اهـ

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٥٧] : (فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له - يعني طالب العلم - وحُبها إيَّاهُ ، وحياطته وحفظه ، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيلُ لكفى به شرفاً وفضلاً) . اهـ

قلت : فالعلماء ورثة الأنبياء ، وهم المفضلون بعد الأنبياء على سائر البشر ، وطلبة العلم ورثة العلماء ، وهم المفضلون بعد العلماء على سائر البشر .

وإذا كان العلم الذي أوصى الله به إلى الأنبياء قد ورثه العلماء ، فإن العلماء أيضاً ورثوا شينا من الاعتبار الشرعي للأنبياء ، فكذاك طلبة العلم ورثوا شينا من الاعتبار الشرعي للعلماء ، فالأنبياء مبلغون عن الله ، والعلماء مبلغون عن الأنبياء ، وطلبة العلم مبلغون عن العلماء .

قلت : وهذا ما يتضح في الدليل الآتي :

٩) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
(تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ ، وَيُسْمَعُ مِنْ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ) .

حديث حسن

أخرجه أبو داود في سننه [ج ٤ ص ٦٨] والحاكم في المستدرک [ج ١ ص ٩٥]
وفي معرفة علوم الحديث [ص ٢٧] وابن عبد البر في جامع بيان العلم

[ج١ص٤٣] والبيهقي في السنن الكبرى [ج١ص٢٥٠] وفي شعب الإيمان [ج٥ص٣٦٩] وفي دلائل النبوة [ج٦ص٥٣٩] وابن أبي أسامة في المسند [ص٣٤ - البغية] وأبو نعيم في الحلية [ج٨ص١٢٠] والهروي في ذم الكلام [ج٥ص١٩٦] وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [ج٨ص٨] وابن حبان في صحيحه [ج١ص٢١٩] وأحمد في المسند [ج١ص٣٢١] والخطيب في شرف أصحاب الحديث [ص٨١] وابن الحطاب في مشيخته [ص٩٠] وابن جماعة في مشيخته [ج١ص٣٨٦] والرامهرمزي في المحدث الفاضل [ص٢٠٧] والقاضي عياض في الإلماع [ص١٠] وابن خير في فهرسته [ص١٠ و ١٣] من طرق عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به .

قلت : وهذا سنده حسن .

قال العلائي في جامع التحصيل [ص٥٢] : (عبد الله بن عبد الله هذا قال فيه النسائي ليس به بأس ، وثقة ابن حبان ولم يضعفه أحد ، والحديث حسن) . اهـ
والحديث صححه الألباني في الصحيحة [ج٤ص٣٨٩] .

وقوله (تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ) خبر بمعنى الأمر أي لتسمعوا مني الحديث وتبلغوه عني ، وليسمعه من بعدي منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم أي ويسمع الغير من الذي يسمع منكم حديثي ، وكذا من بعدهم وهلمَّ جرًّا، وبذلك يظهر العلم وينتشر ويحصل التبليغ وهو الميثاق المأخوذ على العلماء ^(١) .

(١) انظر عون المعبود للأبادي [ج١٠ص٩٤] .

قلت : وهذا اداء للأمانة وإبلاغ للرسالة .

فطلبة العلم (طلبة الحديث) أوصى بهم النبي ﷺ خيراً أي توقيرهم واحترامهم ومحبتهم ، وما ذاك إلا لشرفهم وفضلهم ورفعتهم عند الله وفي دين الله.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان - إذا رأى الشباب - يعني طلبة العلم - قال (مرحباً بوصية رسول الله ﷺ) .

أثر حسن

أخرجه الترمذي في سننه [ج٥ ص ٣٠] وابن ماجه في سننه [ج١٠ ص ٩٠] والبيهقي في شعب الإيمان [ج٥ ص ٣٧٠] وفي المدخل [ص ٣٦٩] والخطيب في شرف أصحاب الحديث [ص ٢٢] وفي الجامع [ج١ ص ٣٥] وابن عدي في الكامل [ج٥ ص ١٧٣٣] وابن خير في فهرسته [ص ٨] وعبد الرزاق في المصنف [ج١ ص ٢٥٢] والبعوي في شرح السنة [ج١ ص ٢٨٦] وابن الحطاب في مشيخته [ص ٩١-٩٢] والنسفي في علماء سمرقند [ص ٥٢١] وأبو الشيخ في طبقات المحدثين [ج٣ ص ٢٨٢] والرامهرمزي في المحدث الفاضل [ص ١٤٧] وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [ج١ ص ١٢] والعلاني في بغية الملتمس [ص ٢٦] من طرق عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري به .

قلت : وهذا سنده فيه أبو هارون وهو عمارة بن جوين العبدى وهو متروك

كما في التقريب لابن حجر [ص ٧١١] .

لكنه لم ينفرد به ، تابعه عليه أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي البصري وهو ثقة
كما في التقريب لابن حجر [ص ٩٧١] عن أبي سعيد الخدري أنه قال : (مرجبا
بوصية رسول الله ﷺ كان رسول الله ﷺ يُوصِينَا بِكُمْ) .

أخرجه الحاكم في المستدرك [ج ١ ص ٨٨] من طريق سعيد بن سليمان
الواسطي حدثنا عباد بن العوام عن الجريري عن أبي نضرة به .
قلت : وهذا سنده حسن .

ومن هذا الوجه أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل [ص ١٧٦] والعلاني
في بغية الملتمس [ص ٢٨] وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [ج ١ ص ١٢] وتمام
في الفوائد [ج ١ ص ١٥٠] .

وقال الحاكم : هذا حديث ثابت لاتفاق الشيخين على الاحتجاج بسعيد بن
سليمان وعبادة بن العوام والجريري ثم احتجاج مسلم بحديث أبي نضرة .
قلت : وأقره الذهبي على أن الحديث لا علة له .

وقال العلاني : إسناده لا بأس به .
وقواه الألباني في الصحيحة [ج ١ ص ٥٦٥] .

وللحديث طرق أخرى بأسانيد ضعيفة .

أخرجها الرامهرمزي في المحدث الفاصل [ص ١٧٥] وابن وهب في المسند
[ق/١٦٧ ط] والخطيب في الجامع [ص ٣٥] وأبو الحاكم في الأسامي والكنى
[ج ٤ ص ٢٨٦] .

وله شاهد: أخرجه الدارمي في السنن [ج ١ ص ٩٩] من طريق إسماعيل بن أبان ثنا يعقوب عن عامر بن إبراهيم قال : (كان أبو الدرداء إذا رأى طلبة العلم قال مرحبا بطلبة العلم وكان يقول إن رسول الله ﷺ أوصى بكم) . وإسناده حسن

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٨٧] : أن النبي ﷺ أوصى بطلبة العلم خيراً وما ذاك إلا لفضل مطلوبهم وشرفه) . اهـ

فأحيا الله طالب العلم ، بالعلم ، فهو حي مستنير فالنور يكشف له عن حقائق الأشياء ، ويبين له مراتبها ، والحياة تصح له صفاته ، فتسد قوله وأعماله ، فهو يمشي بين الناس بالنور والحياة ^(١) .

قال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ^(٢) .

قلت : كان ميتاً بالجهل ، فإن الجهل موت ، والعلم نور الحياة .

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٢٢] : (كان ميتاً بالجهل قلبه ، فأحياه بالعلم ، وجعل له من الإيمان نوراً يمشي به في الناس) .

فالعالم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس ، والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس ^(٣) .

(١) انظر الكوكب الدرر المتلالي المنقوض على دعاوي الشانلي الغالي وكشفه البالي للشيخ سليم الهاللي [ص ٢٥] .

(٢) سورة الأنعام آية [١٢٢] .

(٣) انظر الإسعاد للشيخ سليم الهاللي [ص ٦١] .

فَطُلَّابُ الْعِلْمِ غُرَّاسُ فِي رِيَاضِ الْعُلَمَاءِ ، فَيَنْبَغِي عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا ، وَيَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْمَحَبَّةِ ، وَيَحِيطُوا بِهِم بِالْحَرَصِ وَالرَّعَايَةِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَوْدُهُمْ وَلَا تَمِيلَ قَنَاتُهُمْ . كَمَا أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطُلَّابِ الْحَدِيثِ خَيْرًا^(١).

قَالَ الْخَطِيبُ فِي الْجَامِعِ [ج ١ ص ٢٤٣] : بَابُ تَوْقِيرِ الْمُحَدِّثِ طَلَبَةَ الْعِلْمِ وَأَخْذِهِ نَفْسَهُ بِحَسَنِ الْإِحْتِمَالِ لَهُمُ وَالْحِلْمِ .

وَذَكَرْتُ تَحْتَ هَذَا الْبَابِ فُصُولًا ، نَذَكُرُ رُؤُوسَهَا :

- (١) إِكْرَامُهُ الْمَشَايِخَ وَأَهْلَ الْمَعْرِفَةِ .
- (٢) تَعْظِيمُ الْأَشْرَافِ وَذَوِي الْأَنْسَابِ .
- (٣) تَعْظِيمُهُ مَنْ كَانَ رَأْسًا فِي طَائِفَتِهِ وَكَبِيرًا عِنْدَ أَهْلِ نَحْلَتِهِ .
- (٤) إِكْرَامُهُ الْغُرَبَاءَ مِنَ الطُّلَبَةِ وَتَقْرِيْبِهِمْ .
- (٥) إِسْتِقْبَالُهُ لَهُمْ بِالْتَّرْحِيبِ .
- (٦) تَوَاضُعُهُ لَهُمْ .
- (٧) تَحْسِينُ خَلْقِهِ مَعَهُمْ .
- (٨) الرِّفْقُ بِمَنْ جَفَا طَبْعَهُ مِنْهُمْ .

(١) انْظُرِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ [ص ١٢٣] .

وقال الخطيب في الفقيه والمتفقه [ج ٢ ص ١٣٩] تحت عنوان (تنبيه الفقيه على مراتب أصحابه) : يستحب للفقيه أن ينبه على مراتب أصحابه في العلم ، ويذكر فضلهم ويبين مقاديرهم ليفزع الناس إليهم في النوازل بعده إليهم ، يأخذوا عنهم). اهـ

قلت : فالعلم تربية ، وأن الربانيين من العلماء وطلبة العلم هم المربون حقاً ، وما كَبَّكَ الأمة الحزبية في هاوية الذل والجهل إلا تنكبها لصراط العلماء وطلبة العلم وطعنهم فيهم ... والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ إِلَى الْجَنَّةِ طَرِيقًا) .

أخرجه مسلم في صحيحه [ج ٣ ص ٢٠٧٤] وأبو داود في سننه [ج ٥ ص ٢٣٥] والترمذي في سننه [ج ٥ ص ١٩٥] وابن ماجه في سننه [ج ١ ص ٨٢] وأحمد في المسند [ج ٢ ص ٢٥٢] وابن حبان في صحيحه [ج ١ ص ٢٨٤] وابن أبي شيبة في المصنف [ج ٩ ص ٨٥] والبعثي في شرح السنة [ج ١ ص ٢٧٢] والشجري في الأمالي [ج ٢ ص ٢١٥] وزهير بن حرب في العلم [ص ١١] والحاكم في المستدرک [ج ١ ص ٨٩] وابن عبد البر في جامع بيان العلم [ج ١ ص ١٣] وفي التمهيد [ج ٥ ص ٣٣٧] والبيهقي في شعب الإيمان [ج ٥ ص ٣٢٤] وفي المدخل [ص ٢٤٩] وفي الآداب [ص ٥٢٢] وفي الزهد الكبير [ص ٢٩١] وفي الأربعين الصغيرى

[ص ١٣٥] والآجري في حملة القرآن [ص ٢٢] وفي أخلاق العلماء [ص ٣٥]
والخطيب في تاريخ بغداد [ج ٢ ص ١١٤] والطيالسي في المسند [ص ٣١٩]
والدارمي في السنن [ج ١ ص ٩٩] وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [ج ٢ ص ١١]
وابن المستوفي في تاريخ إربل [ج ١ ص ٢٥٦] من طريق أبي صالح عن أبي
هريرة به .

قلت : وفي الحديث دليل على فضل العلم وشرفه .. فطلب العلم وتعليمه من
أعظم سبيل الله عز وجل .

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٩١] : (وهذا أشرف علم على
الإطلاق ...) اهـ .

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٧٤] : (وقد تظاهر الشرع
والقدر على أن الجزاء من جنس العمل ، فكما سلك طريقاً يطلب فيه حياة قلبه
ونجاته من الهلاك ، سلك الله به طريقاً يحصل له ذلك) . اهـ
قلت : وهذا يدل على مكانة ومنزلة طالب العلم في الدين .

١١) وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : (مَنْ
يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفْتَحْهُ فِي الدِّينِ) .

أخرجه البخاري في صحيحه [ج ٦ ص ٢١٧] و [ج ٣ ص ٢٩٣] ومسلم في
صحيحه [ج ٢ ص ٧١٩] وابن حبان في صحيحه [ج ١ ص ١٥٢] وأحمد في المسند
[ج ٤ ص ١٠١] والبلغوي في شرح السنة [ج ١ ص ٢٨٤] والبيهقي في المدخل

[ص ٢٥٢] وفي الأسماء والصفات [ج ١ ص ٢٥٢] والدارمي في السنن [ج ١ ص ٧٣ و ٧٤] والآجري في الأربعين [ص ١٢] وفي أخلاق العلماء [ص ٢٥ و ٢٦] والضياء المقدسي في فضائل الأعمال [ص ٥٦٠] والخطيب في الفقيه والمتفقه [ج ١ ص ٧] وفي الموضح [ج ٢ ص ٣٣٧] وابن عبد البر في جامع بيان العلم [ج ١ ص ٢٠] وفي التمهيد [ج ١ ص ٢٠] والطحاوي في مشكل الآثار [ج ٢ ص ٢٧٨] والطبراني في المعجم الكبير [ج ٩ ص ٣٢٩] وفي مسند الشاميين [ج ٢ ص ١٢٤] وفي المعجم الأوسط [ج ٢ ص ٢٥٩] وابن الجوزي في الحقائق [ج ١ ص ٥١٥] وفي مشيخته [ص ١٧٤] وأبو نعيم في الحلية [ج ١ ص ٣٦٦] وفي أخبار أصبهان [ج ١ ص ٣٤٥] ومالك في الموطأ [ج ٢ ص ٩٠ - رواية يحيى] و [ج ٢ ص ٧٢ - رواية أبي مصعب] وعبد بن حميد في المنتخب [ص ١٥٧] والقضاعي في مسند الشهاب [ج ١ ص ٢٢٥] وابن بطة في إبطال الحيل [ص ١٢] وبخشل في تاريخ واسط [ص ١١٢] وأبو يعلى في المسند [ج ١ ص ٣٧١] وتمام في مسند المقلين [ص ٣٢] وابن ماجه في سننه [ج ١ ص ٨٠] وابن عدي في الكامل [ج ٣ ص ١٠٠٥] وابن أبي شيبه في المصنف [ج ٩ ص ٥] والدولابي في الكنى والأسماء [ج ١ ص ١٥٠] من عدة طرق عن معاوية به .

قال الآجري في أخلاق العلماء [ص ٢٦] : (فلما أراد الله تعالى بهم خيرا ففهمهم في الدين ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وصاروا سراجا للعباد ومنارا

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٤٦] : (وهذا يدل على أن من لم يفقهه في دينه لم يرد به خيرا ، كما أن من أراد به خيرا ففقهه في دينه ، ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيرا إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل ، وأما إن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقه في الدين فقد أراد به خيرا فإن الفقه حينئذ يكون شرطا لإرادة الخير ، وعلى الأول يكون موجبا) . اهـ

وإذا كان الله عز وجل قد أراد بهم الخير ففقههم في الدين وعلمهم التأويل ، وخصهم بذلك ، فقد خصوا أيضا بلزوم طاعتهم ووجوب الانتمار بأمرهم ^(١) .
قلت : ولولا العلم لفسد عمل الناس .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله [ص ٣٢] : (أما الدعوة بالجهل فهذا يضر ولا ينفع) . اهـ

وقال في [ص ٥٠] : (أن نكون على بينة في دعوتك أي على علم ، لا تكن جاهلا بما تدعو إليه ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ فلا بد من العلم ، فالعلم فريضة ، فإياك أن تدعو على جهالة ، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم ، فالجاهل يهدم ولا يبني ويفسد ولا يصلح ، فاتق الله يا عبد الله ، إياك أن تقل على الله بغير علم ، لا تدعو إلى شيء إلا بعد العلم به والبصيرة بما قاله الله ورسوله ، فلا بد من البصيرة وهي العلم) . اهـ

(١) انظر قواعد التعامل مع العلماء لابن معلا [ص ٥٦] .

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في القول المفيد [ج ١ ص ١٢٧] : (فالجاهل

لا يصلح للدعوة ، وليس محمودا وليست طريقته طريقة الرسول ﷺ ، لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح). اهـ

وقال الشيخ صالح الفوزان في الأجوبة المفيدة [ص ٧٩] : (الحماس للدعوة

طيب ، والإنسان يكون فيه رغبة إلى الخير وإلى الدعوة ، لكن لا يجوز له أن يباشر الدخول في الدعوة إلا بعد أن يتعلم ... فالجاهل لا يصلح للدعوة ، لابد أن يكون عنده علم ... أما مجرد الحماس ، أو مجرد المحبة للدعوة ، ثم يباشر الدعوة، هذا في الحقيقة يفسد أكثر مما يصلح ، وقد يقع في مشاكل ، ويوقع الناس في مشاكل فهذا يكفيه أن يرغب في الخير ، ويؤجر عليه إن شاء الله ، لكن إن كان يريد الدخول في مجال الدعوة فليتعلم أولا ، ما كل واحد يصلح للدعوة ، وما كل متحمس يصلح للدعوة ، التحمس مع الجهل يضر ولا ينفع). اهـ

وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : (من عمل في غير علم كان ما يفسد

أكثر مما يصلح) ^(١) . اهـ

وقال الإمام محمد بن سيرين : (ما عمل عامل بغير علم إلا ما يفسد أكثر مما

يصلح) ^(٢) . اهـ

(١) انظر الإبانة لابن بطة ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٢) انظر الترغيب والترهيب للأصبهاني [ج ٣ ص ٩٨]

إذا لا يرفع الجهل إلا العلم ، لأن فاقد لاشيء لا يعطيه ، فالأجدر بصاحب هذه
المنزلة أن يتخلّى عن هذه المهمة ، ويترك المجال لأهله ، فإن للإسلام رجال
يعرفون من أن تؤكل الكتف .

فيجب على المسلمين بعد موالاته الله تعالى ورسوله ﷺ ، موالاته المؤمنين
خصوصاً العلماء وطلبة العلم ... وإن أولى الناس بالموالاته ، وأحقهم بالمحبة في
الله بعد الأنبياء العلماء وطلبة العلم .

قال ابن تيمية في رفع الملام [ص ١١] : (فيجب على المسلمين بعد موالاته الله
تعالى ورسوله ﷺ موالاته المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء الذين هم
ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر ،
وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم) اهـ

١٢) وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١) .

أي هو الولي الذي تجب موالاته ، وتجب موالاته الرسول والمؤمنين ...
وخصوصاً موالاته العلماء وطلبة العلم لوصية الرسول ﷺ بهم - كما تقدم - ووعد

سبحانه من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعدوهم قال تعالى :
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾^(١) ﴿٥٦﴾

فالموالاة النصره والمحبة ظاهرا وباطنا والموالاة ضد المعاداة ، والولي ضد العدو .

قال ابن تيمية في الفرقان [ص٧] : (الولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والتقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد ... والولي : القريب ...) اهـ
وقال ابن تيمية في التحفة العراقية [ص٧٦] : (فاتباع سنة رسوله ﷺ واتباع شريعته باطنا وظاهرا هو موجب محبة الله ، كما أن الجهاد في سبيل الله ، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها) . اهـ

١٣) وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾^(٢)

لقد أصبح المؤمنون أولياء بعضهم لبعض ، كل منهم يحب أخاه كحبه لنفسه، ويناصره ويجاهد من أجله .

قال السعدي في تفسيره [ج٣ ص٢٦٤] : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ﴾ أي ذكورهم وإناثهم ، ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ في المحبة والموالاة والانتماء والنصرة). اهـ

(١) سورة المائدة آية [٥٦] .

(٢) انظر زبدة التفسير من فتح القدير [ص١٢٨] .

(٣) سورة التوبة آية [٧١] .

قلت : فالحذر الحذر من معاداة العلماء وطلبة العلم أولياء الله والرسول ..

فمن عاداهم فهو من حزب الشيطان ... وهم الخاسرون ، ولو كانوا عدد الحصى .

فكل متبع للكتاب والسنة فهو ولي من أولياء الله والرسول كبيرا كان أم

صغيرا .

قال السعدي في تفسيره [ج ٢ ص ٣١٠] : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾

(فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى ، فكل من كان مؤمنا تقيا ، كان لله وليا ، ومن

كان لله وليا ، فهو ولي لرسوله ، ومن تولى الله ورسوله ، كان تمام ذلك ، تولى

من تولاه ، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهرا وباطنا ، وأخلصوا للمعبود

بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها وأحسنوا للخلق وبذلوا الزكاة من

أموالهم لمستحقيها منهم وقوله ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ أي خاضعون لله ذليلون

فأداء الحصر في قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ تدل

على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين فقال ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ أي فإنه من الحزب

المضافين إلى الله ، إضافة عبودية وولاية ، وحزبه الغالبون ، الذين لهم العاقبة

في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ، وهذه

بشارة عظيمة ، لمن قام بأمر الله ، وصار من حزبه وجنده ، أن له الغلبة ، وإن

أدبل عليه في بعض الأحيان ، لحكمة يريد بها الله تعالى ، فأخر أمره ، الغلبة

والانتصار ، ومن أصدق من الله قила) . اهـ

وقال ابن تيمية في الفرقان [ص ٧] : (فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع

له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معاديا له ... فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، ولهذا جاء في الحديث : (ومن عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) . اهـ

فجدير بالمؤمن أن يعي ويعرف من يحب ومن يبغض ، ومن يوالي ومن يعادي ثم يزن نفسه بميزان الكتاب والسنة ليرى أواقف هو في صف الشيطان وحزبه أم في صف عباد الرحمن وحزب الله الذين هم المفلحون ، وما عداهم فأولئك هم الذين خسروا الدنيا والآخرة .

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة [ج ١ ص ٢٦١] : (وفيه - يعني حديث أبي الدرداء السابق - تنبيه على أن محبتهم - يعني أهل العلم - من دين الله ، وبغضهم مناف للدين ، كما هو ثابت لموروثهم ، وكذلك فمعاداتهم ومحاربتهم معادة ومحاربة لله كما هو في موروثهم ... وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) . اهـ

ويؤيده ما ثبت :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره

ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألتني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه .

أخرجه البخاري في صحيحه [ج ١ ص ٣٤٠] والبيهقي في الزهد الكبير [ص ٢٦٩] وفي الأسماء والصفات [ص ٦٢٣] وفي السنن الكبرى [ج ٣ ص ٣٤٦] و [ج ١٠ ص ٢١٩] وفي الأربعين الصغرى [ص ٧٥] و البغوي في شرح السنة [ج ٥ ص ١٩] وفي مصابيح السنة [ج ٢ ص ١٤٦] وأبو نعيم في الحلية [ج ١ ص ٤٥] و [٥] والذهبي في الميزان [ج ٢ ص ١٦٤] وابن بلبان في المقاصد السنية [ص ٨٥] من طريق خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي عمر عن عطاء عن أبي هريرة به .

قال ابن حجر في فتح الباري [ج ١ ص ٣٤٢] : (قوله : (من عادى لي وليا) المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته) .

وقال ابن حجر أيضا [ج ١ ص ٣٤٢] : (أن المعادة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا ، بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر ، والمبتدع في بغضه للسني ، فتقع المعادة من الجانبين ، أما من جانب الولي فله تعالى وفي الله وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولي في الله وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيهِ عن شهواته .. فالحرب تنشأ عن العداوة ، والعداوة تنشأ عن المخالفة ، وغاية الحرب الهلاك ، والله لا يغلبه غالب). اهـ

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم [ص ٢٢٤] : (قوله عز وجل :) من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) يعني : فقد أعلمته بأني محارب له ، حيث كان محارب لي بمعاداة أوليائي ... فأولياء الله تجب موالاتهم ، وتحرم معاداتهم ، كما أن أعداءه تجب معاداتهم ، وتحرم موالاتهم ... واعلم أن جميع المعاصي محاربة لله عز وجل قال الحسن : (ابن آدم هل لك بمحاربته من طاقة) ؟ فإن من عصى الله ، فقد حاربه ، لكن كلما كان الذنب أقبح ، كان أشد محاربته لله ، ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا ، وقطاع الطريق محاربين لله تعالى في بلاده ، وكذلك معاداة أوليائه ، فإنه تعالى يتولى نصرته أوليائه ، ويحبهم ويؤيدهم ، فمن عاداهم ، فقد عادى الله وحاربه .

وقوله : (وما تقرب إلي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) : لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له ، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم ، وتجب موالاتهم ، فذكر ما يتقرب به إليه ، وأصل الولاية : القرب ، وأصل العداوة : البعد ، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه ، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه ، فقسم أوليائه المقربين إلى قسمين : أحدهما : من تقرب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده .

والثاني : من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل ، فظهر بذلك أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى ، وولايته ، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ، فمن ادعى ولاية الله ، والتقرب إليه ، ومحبته بغير هذه الطريق ، تبين أنه كاذب في دعواه ، كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه ، كما حكى الله عنهم أنهم قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ قَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ ﴾ مع أصرارهم على تكذيب رسله ، وارتكاب نواهيه ، وترك فرائضه .

فلذلك ذكر في هذا الحديث أن أولياء الله على درجتين :

أحدهما : المتقربون إليه بأداء الفرائض ، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين ، وأداء الفرائض أفضل الأعمال وذلك لأن الله عز وجل إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه ، ويوجب لهم رضوانه ورحمته .

وأعظم فرائض البدن التي تقرب إليه الصلاة ... ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعي في رعيته ، سواء كانت رعيته عامة كالحاكم ، أو خاصة كعدل أحاد الناس في أهله وولده ، كما قال ﷺ : **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)** (١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٩٣] ومسلم في صحيحه [١٨٢٩] من حديث ابن عمر .

الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهُمُ الذين تقربوا إلى بعد الفرائض بالاجتهاد في النوافل والطاعات ، والانتكاف عن دقائق المكروهات بالورع ، وذلك يوجب للعبد محبة الله) . اهـ

وقال الطوفي : (لما كان وليُّ الله ، من تولَّى الله بالطاعة والتقوى تَوَلَّاهُ اللهُ بالحفظ والنُّصرة). (١) اهـ

فالقُدح في العلماء إيذاء لهم ، والإيذاء للعلماء إيذاء لأولياء الله صالحين ، فإن العلماء العاملين يدخلون دخول أولياء في صف الأولياء .

وهذا معنى أن إيذاء العلماء أمر خطير لأن من عادى ولياً لله فقد آذنه الله بالحرب ، والاستهزاء بأهل العلم والفضل ، وتعييرهم والقُدح فيهم خطرٌ على دين المرء ، إذ قد يفضي بصاحبه إلى ما لم يكن بحسابه (٢) .

إن الطعن في العلماء ليس طعناً في شخوصهم إنما طعن في العلم الذي يحملونه وبالتالي طعن في الإسلام لأن العلم هو الإسلام ، والإسلام جاء من عند الله على رسوله ﷺ .

قال ابن تيمية في الفتاوى [ج ١١ ص ٥١٢] : (وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالى على متابعتة ، ويُعادي على ذلك ، بل عليه أن يُوالي كل من كان من

(١) انظر فتح الباري لابن حجر [ج ١ ص ٣٤٣] .

(٢) انظر قواعد في التعامل مع العلماء لابن معلا [ص ١٠٤] .

أهل الإيمان ، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحدا بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه فيقدم من قدم الله ورسوله عليه ، ويفضل من فضله الله ورسوله) . اهـ

وقال ابن تيمية في الفتاوى [ج ٢٠ ص ٦٤١] : (وليس لأحد أن ينصب للعامة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله ، وما اجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع الذين يتصّبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرّقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون) . اهـ

إن التعصب للشيوخ سبب من أسباب فرقة المسلمين إذ لو ساغ لكل طائفة أو أهل بلد ذلك التعصب لتفرق المسلمون في دينهم شيعا ، ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ، وما وقوع أهل البدع في بدعهم وضلالاتهم إلا نتاج جملة من الأسباب منها التعصب والتفرق ، وهذا أمر يغفل عنه بعض الصالحين في كل زمان ، فيتعصبون لعالم أو شيخ ويظنون ذلك التعصب تعصبا للحق ، والواجب على المسلم ألا يجعل الموالاة والمعاداة على أساس غير الكتاب والسنة ^(١) .

والحُبُّ الذي يقع من بعض أهل الخير لبعض الشيوخ وأهل العلم قد يصل إلى درجة الغلو وذلك عندما يغلو الإنسان في الحُبِّ ، ويتجاوز في المدح حتى يُنني

(١) انظر قواعد التعامل مع العلماء لابن معلا [ص ٧٧] .

على شيخه بما ليس فيه وتعود مساوئه عند محاسن ، ولا يتقبل فيه قدحاً بحال ، ولو كان ذلك الحب خالياً من الهوى لم تقع فيه تلك الظواهر ، ولم يكن الحب للشخص غالباً على حب المنهج ، ومسالك الهوى في هذا دقيقة والمعصوم من عصمه الله ^(١) .

قال ابن تيمية في الوصية الكبرى [ص ١١٧] في وصيته لأتباع عدي بن مسافر: (الواجب أن يُقدّم من قدّمه الله ورسوله ، ويؤخّر من أخره الله ورسوله ، يُحبّ ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله وأن يكون المسلمون يداً واحدة) . اهـ

قلت : فهذا لأهل الإيمان الحقيقي ، أما أهل الأهواء من الحزبيين وغيرهم فإنما ينتصرون لأهوائهم وأحزابهم بغير علم والله المستعان .
ولقد كان سلف هذه الأمة يحترمون علماءهم احتراماً كبيراً ويتأدّبون معهم .

(١٤) وعن الشعبي قال : (صلى زيد بن ثابت على جنازة ، ثم قربت له نعلة ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال له زيد خلّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس : هكذا يفعل بالعلماء والكبراء) .

أثر صحيح

(١) انظر قواعد التعامل مع العلماء لابن معلا [ص ٧٨] .

أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى [ج٢ ص٣٦٠] والطبراني في المعجم الكبير [ج٥ ص١٠٧] والفسوي في المعرفة والتاريخ [ج١ ص٤٨٤] والخطيب في الفقيه والمتفقه [ج٢ ص٩٩] وفي الجامع [ج١ ص١٨٨] وابن عبد البر في جامع بيان العلم [ج١ ص٥١٤] من طرق عن رزين الرماني عن الشعبي به .

قلت : وهذا سنده صحيح ، وصحه ابن حجر في الإصابة [ج١ ص٥٤٣] .
وقال الهيثمي في الزوائد [ج٩ ص٣٤٥] : (رواه الطبراني ، رجاله رجال الصحيح غير رزين الرماني وهو ثقة) . اهـ

وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى [ج٢ ص٣٦٠] والحاكم في المستدرک [ج٣ ص٤٢٣] من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة به .

قلت : وهذا سنده حسن .

فيجب احترام علماؤنا وكبراؤنا وطلابنا .

(١٥) وعن طاووس بن كيسان قال : (من السنة أن يوقر أربعة : العالم ، وذو الشئبة ، والسلطان ، والوالد) .

أثر صحيح

أخرجه عبد الرزاق في المصنف [ج١ ص١٣٧] من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه به .

قلت : وهذا سنده صحيح .

وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم [ج١ ص٤٥٩] من وجه آخر ضعيف .

وذكره البغوي في شرح السنة [ج٣ ص٤٣] .

فتوقير العلماء وطلبة العلم وتقديرهم واحترامهم من السنة .

قال أحمد بن حنبل لخلف الأحمر : (لا أقعد إلا بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه)^(١).

فيجب إجلال العالم وطالب العلم لعلمهما ، ولما يحفظا من القرآن والسنة .

فاحذر من الاستهزاء بالعلماء وطلبة العلم ، والطعن فيهم ، واحذر من غيبتهم... وغيبة العلماء وطلبة العلم أعظم من غيبة غيرهم من الناس .

١٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : ذكرت أخاك بما يكره ، قال : رأيت إن كان فيه ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته .

أخرجه مسلم في صحيحه [ج٣ ص٢٠٠١] والترمذي في سننه [ج٤ ص٣٢٩] وابن حبان في المجروحين [ج١ ص١٦] والخطيب في الكفاية [ص٣٥] وأحمد في المسند [ج٢ ص٣٢٩] وابن أبي الدنيا في الغيبة [ص٦٩] وفي الصمت [ص١٣٤] والدارمي في السنن [ج٢ ص٢٩٩] وأبو داود في سننه [ج٥ ص١٩١] وأبو يعلى في المسند [ج١١ ص٤٠٦] وابن جرير في تفسيره [ج٢٦ ص١٣٦] وابن أبي

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة [ص٨٨] .

شبية في المصنف [ج٨ص٣٨٧] والبيهقي في السنن الكبرى [ج١٠ص٢٤٧]
وفي شعب الإيمان [ج١٢ص١١١] وفي الآداب [ص١١٠] والبغوي في شرح
السنة [ج١٣ص١٣٨] من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة
به .

قال الشيخ صديق حسن خان في إكليل الكرامة [ص٢٢٥] : (واعلم أن من أقبح
أنواع الظلم ما يرجع إلى الإعراض من غيبة أو نيمية أو شتم أو قذف) . اهـ
وقال ابن كثير في تفسيره [ج٦ص٣٨١] : (والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا
يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة) . اهـ
وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن [ج١٦ص٢٢٧] : (والإجماع على أنها
من الكبائر ، وأنه يجب التوبة منها إلى الله) . اهـ

ولم يدر هؤلاء الجهلة أن اغتياب العلماء وطلّبة العلم ، والتفكّة بأعراض
المؤمنين ، سُمّ قاتل وداء دفين وإثم واضح مبين ... فإذا سمع المُنصِف هذه
الآيات والأحاديث والآثار ، وكلام المحققين من أهل العلم والبصائر ، وعلم أنه
موقوف بين يدي الله ومسؤول عما يقول ويعمل ، وقف عند حده ، واكتفى به عن
غيره ... وأما من غلب عليه الجهل والهوى ، وأعجب برأيه ، فلا حيلة فيه ،
نسأل الله العافية لنا وإخواننا المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

قال ابن عساكر في تبیین كذب المفتری [ص٢٨] : (واعلم يا أخي وفقتنا الله
وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لُحوم العلماء مسمومة ،

وعادة الله في هتك أستار مُنتَقصِيهِمْ معلومة ، لأن الوقِعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم ، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم ، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم) . اهـ

فغيبة العلماء وطلبة العلم أعظم من غيبة غيرهم من الناس ... اللهم غفرا .
وإن من الناس اليوم من يخطئ العلماء وطلبة العلم لجهلهم كما يقول بالواقع ، وهذه دعوى لا يصح إطلاقها على العلماء وطلبة العلم ، فهي دعوى غير صحيحة ، إذ العلماء في مجملهم أعرف الناس بالواقع فأكثر من يستمع إلى المشكلات والأمور التي تعرض للناس في الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية هم العلماء وطلبة العلم .

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الكلم عن اتهام العلماء بالجهل بالواقع : (الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عما لا ينبغي ، وألا يتكلم إلا عن بصيرة ، فالقول بأن فلانا لم يفقه الواقع هذا يحتاج إلى علم ، ولا يقوله إلا من عنده علم حتى يستطيع الحكم بأن فلانا لم يفقه الواقع ، أما أن يقول هذا جزافاً ، ويحكم برأيه على غير دليل فهذا منكر عظيم لا يجوز ، والعلم بأن صاحب الفتوى لم يفقه الواقع يحتاج إلى دليل ولا يتسنى ذلك إلا للعلماء) ^(١) . اهـ

نقل الذهبي في السير [ج ١٧ ص ٥١] عن أبي عبد الرحمن السلمي قوله (من قال لأستاذه لم لا يفلح أبدا) ... بلى هنا يريدون أثقالاً أنكاد ، يعترضون ولا يقتدون ويقولون ولا يعملون ، فهؤلاء لا يفلحون) . اهـ

(١) مجلة رابطة العالم الإسلامي في عدد [٣١٣] .

وهذا دالٌّ على أن الأصل في العلماء أنهم أهل عدل وتصف ، وإنما يقع منهم ما يقع من الطعن غير المعتر للهوى ، ومسالك الهوى ومساربه دقيقة ، والمعصوم من عصمه الله ^(١) .

قلت : فلانعبأ بقول الحزبية في العلماء وطلبة العلم لعداوتهم السائدة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز في العلم وأخلاق أهله [ص٢٠] : (... فطالب العلم له شأن عظيم ، وأهل العلم هم الخلاصة في هذا الوجود) . اهـ

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز في أهمية العلم [ص٣٤] : (ويعلم حقاً أن طالب العلم في الحقيقة هو الذي يميز الحق من الباطل بأدلته الظاهرة وبراهينه الساطعة ويقرأ كتب الأنمة المهتدين ، يأخذ منها ما وافق الحق ، ويترك ما ظهر بطلانه ، وعدم موافقته للحق) . اهـ

وقال شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين في العلم [ص٢٨] مادحاً طالب العلم : (ثم إن البدع تتجدد ، فقد توجد بدع ما حدثت في الزمان الأول ولا توجد في الكتب فلا يمكن أن يدافع عنها إلا طالب العلم ، ولهذا أقول : إن مما تجب مراعاته لطالب العلم الدفاع عن الشريعة) . اهـ

وقال ابن تيمية في الفتاوى [ج٢٢ ص٢٥٢] : (فالواجب على كل مؤمن موالاة

المؤمنين وعلماء المؤمنين ، وأن يقصد الحق ويتبعه حيث وجده) . اهـ

وقال ابن عبد البر في التمهيد معلقاً على حديث سليمان بن يسار^(١) [ج ٢٣ ص ١٥٠] : (وفيه دليل على أن العلماء لم يزلوا يتناظرون ولم يزل منهم الكبير لا يرتفع على الصغير ، ولا يمنعون الصغير إذا علم أن ينطق بما علم ، ورب صغير في السن كبير في علمه ، والله يمن على من يشاء بحكمته ورحمته) . اهـ

قال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ ﴾ .

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن [ج ١٧ ص ٢٩٩] : (أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا ، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن ، والعالم على من ليس بعالم) . اهـ

قلت : فوجب توقير طلبة العلم الصغار والله ولي التوفيق .

ويجب على العبد أن يكون عالماً أو متعلماً أو محباً لهما ... ومن أفنى بالعلم نفسه ، وأحیی بالعلم روحه كان مع المتقين في جنات ونهر ... ولن ترتفع درجة في الجنان كدرجة العلماء والمتعلمين ثم درجة المحبين لهم .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [ج ٨ ص ٦٥٣] ومسلم في صحيحه [ج ٢ ص ١١٢٢ وفيه : (أن عبد الله بن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن اختلفا في المرأة تنفس بعد وفاة زوجها بليال فقال أبو سلمة : إذا وضعت ما في بطنها فقد حلت وقال ابن عباس آخر الأجلين ..) .

١٧) وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : (مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَفِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا) .

حديث صحيح

أخرجه أبو داود في سننه [ج٥ ص٢٣٣] والبخاري في الأدب المفرد [ص ١٣٠] وأحمد في المسند [ج٢ ص٢٢٢] والحاكم في المستدرک [ج١ ص٦٢] وابن طولون في الأربعين في فضل الرحمة والراحمين [ص ٣٧] والبيهقي في شعب الإيمان [ج٧ ص٤٥٧ و ٤٥٨] من طرق عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن عبيد الله بن عامر^(١) عن عبد الله بن عمرو به .

قلت : وهذا سنده صحيح ، وقد صححه الألباني في الصحيحة [ج٥ ص٢٣٠] .
قال الحاكم : هذا حديث صحيح .

وأخرجه الترمذي في سننه [ج٤ ص٣٢٢] والبخاري في الأدب المفرد [ص ١٣٠] وابن طولون في الأربعين [ص ٤٤] من طريق محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به وفيه (ويوقر كبيرنا) .

وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال الترمذي في السنن [ج٤ ص٤٢٢] : (قال بعض أهل العلم : معنى قول النبي ﷺ (ليس منا) يقول ليس من سنتنا ليس من أدبنا ... قال سفيان الثوري : (ليس من ملتنا) .

(١) انظر تهذيب الكمال للزمري [ج١٧ ص١٩٨] .

وله شاهد :

أخرجه البخاري في الأدب المفرد [ص ١٣٠] من طريق يزيد بن هارون أخبرنا الوليد بن جميل عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : (من لم يرحم صغيرنا ، ويُجَلِّ كبيرنا فليس منا) .

قلت : وهذا سنده حسن ، وقد حسنه الألباني في الصحيحة [ج ٥ ص ٢٣١] .
وله شاهد آخر :

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [ج ٧ ص ٥٨] والبخاري في الأدب المفرد [ص ١٢٩] والحاكم في المستدرک [ج ٤ ص ١٧٨] من طريق عبد الله بن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا) .
قلت : وهذا سنده حسن .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

قلت : والعالم يدخل في قوله (كبيرنا) وطالب العلم يدخل في قوله (صغيرنا) .

قال المنذري في الترغيب والترهيب [ج ١ ص ٤٤] : (الترغيب في إكرام العلماء

وإجلالهم وتوقيرهم ، والترهيب من إضاعتهم وعدم المبالاة بهم) .

ثم ذكر حديث عبد الله بن عمرو وبعض الأحاديث في هذا الباب .

ومادام العالم بهذه المنزلة فإنه جدير بالاحترام والتقدير ، والامتنان لما يبذله من جهود مثمرة).

فَحَرَىُّ بِكُلِّ مُسْلِمٍ وَكُلِّ طَالِبٍ وَكُلِّ شَخْصٍ أَنْ يَعْرِفُوا لِلْعُلَمَاءِ مَنْزِلَتَهُمُ اللَّائِقَةَ وَيَقْدِرُوا جُهُودَهُمُ الْمُبَارَكَةَ وَيَتَوَاضَعُوا لَهُمْ .

وكان السلف رحمهم الله يبالغون كثيراً في الثناء على شيوخهم وتقديرهم .
ولقد كان احترام العلماء وهو هدي صحابة النبي ﷺ كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ولقد جُبِلَتِ النفوس على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، فكيف بمن علّمها إنه يستحق الشكر والثناء .

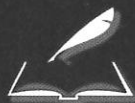
اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايعنا وعلماننا وكل من أحسن إلينا ووفقهم لليسرى وجنبهم العُسْرَى إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	(١) مقدمة الكتاب
٩	(٢) ذكر الدليل على مكانة العلماء وطلبة العلم ووجوب موالاتهم ومحبتهم واحترامهم وتقديرهم والتعاون معهم على البر والتقوى والحذر من قدحهم وغيبتهم والطعن فيهم
١٠	(٣) ذكر تفسير قوله ((وأولي الأمر منكم))
١٠	(٤) ذكر تفسير قوله ((فاسألوا أهل الذكر))
١١	(٥) ذكر فضل العلم وشرف العلماء وطلبة العلم
١٢	(٦) ذكر نفي الله تعالى التسوية بين العلماء وطلبة العلم وبين غيرهم
١٢	(٧) ذكر أن الأدلة لا يعرفها إلا أهل العلم
١٣	(٨) ذكر أن أهل خشية الله هم أهل العلم
١٤	(٩) ذكر البشائر التي للعلماء وطلبة العلم
١٦	(١٠) ذكر أن أهل العلم من أولياء الله تعالى

الصفحة	الموضوع
١٨	(١١) ذكر فضل الخروج لطلب العلم
٢٢	(١٢) ذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم لطالب العلم
٢٥	(١٣) ذكر توقير المحدث طلبية العلم
٢٦	(١٤) ذكر فضل العلم وشرفه
٢٩	(١٥) ذكر أن دعوة الجاهل تفسد أكثر مما تصلح
٣١	(١٦) ذكر تفسير قوله ((إنما وليكم الله ورسوله))
٣٣	(١٧) التحذير من الطعن في أهل العلم
٣٦	(١٨) فائدة عظيمة للحافظ ابن رجب
٤٠	(١٩) ذكر توقير ابن عباس رضي الله عنهما لأهل العلم
٤١	(٢٠) ذكر حث طاووس رحمه الله على توقير أهل العلم
٤٢	(٢١) ذكر تحريم غيبة أهل العلم
٤٧	(٢٢) ذكر توقير أهل العلم



مكتبة الفرقان

تليفون : ٧٤٤٤٤٣٥ - ٠٦ / فاكس : ٧٤٢٤٠٩٤ - ٠٦

ص.ب : ٢٠٢٨٨ عجمان - ا.ع.م

E-mial: Furqanal@emirates.net.ae